
عمر مجاهد السنوي
عِلمُ المَعانِي
النَّشْأةُ وَالمَكانَةُ
وَالمُصْطلح



مجلة تُراثيـة فَصلية مُحكّمة
تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة -وزارة الثقافة والسياحة والآثار
العدد الثالث - المجلد الخمسون 2023م

- من المُستدرك على دواوين الشُعراء
- مناهج البحث البلاغيّ العربي ـ الأصناف والمعايير
- تمثلات الحلّاج للعشق الإلهي ـ قراءة في خصوصية التجربة الصوفية عند الحلاج
- كتاب الياء(من معجم ينابيع اللغة)

عِلمُ المَعاني

النَّشأةُ والمَكانةُ والمُصطلَح

عُمر ماجِد السّنَويّ

الملخص:

لقد مرَّت البلاغةُ العَرَبيّةُ بمَسيرةٍ تاريخيَّةٍ طويلةٍ بدأتْ بنشأتِها، ثُمَّ نموِّها وازدهارها، وُصولًا إلى جُمودها وتَعقيدها، ثُمَّ بَعثِها ونهضتِها من جديد، وقد حظيتْ طوال هذه المَسيرة باهتمامِ رجال البلاغة الذّين صنَّفوا فيها مصنَّفاتٍ عدة تنوّعتْ مناهجُها واختلفتْ طرائقُ تأليفِها.

وقد حَظيَ علْمُ المَعاني مِن بينِ علوم البلاغة كلِّها بعناية خاصّة، لِأنَّهُ العِلْمُ الأهمُّ فيها -كما نصَّ على ذلك أهلُ الفنّ- وهو ما سنراهُ في تَضاعيفِ هذا البحثِ، وهو الدّافعُ إلى إفراده هنا بالبحث.

وقد قَسمناهُ على مُقدّمةٍ وتمهيدٍ وثلاثةِ مَباحثَ وخاتمةٍ:

التّمهيد: فيه إطلالةٌ موجزةٌ على أطوارِ البلاغةِ الأولى حتّى استوتْ على سُوقِها.

المَبحَثُ الأوّلُ: فيه بيانُ نشأةِ علم المَعاني والمؤلّفات فيه.

المَبحَثُ الثّاني: فيه التّنصيص على تعريفِ علمِ المَعاني وموضوعِه ومَكانتِه وفائدتِه.

المَبحَثُ الثّالثُ -وهو أطولُها-: فيهِ رصدُ مُصطلَحاتِ علمِ المَعاني وأساليبِه وأبوابِه.

(*) باحث / العراق .

وانتهجتُ في هذا البحث المنهجَ التّاريخيّ، إذ ليسَ من شأن هذا البحث الإتيانُ بالجديد، بل غرضُه التّقريبُ والتّلخيصُ والتّوضيحُ، ليكونَ بمثابةِ مَدخلٍ لمن يرومُ فَهمَ هذا العلمِ وخَوضَ لُجّتِه.

فَعسى أنْ أكونَ قد أحطتُ بجوانبِ الموضوعِ إحاطةً تُسهمُ في إعانةِ الدّارسينَ.

واللهُ مِن وراءِ القَصد.

الكلمات المفتاحيّة: البلاغة العَرَبية، علم المَعاني، تراكيب الكلام، مُقتَضى الحال.

التّمهيد: أطوار فنّ البلاغة

إنّ فنّ البلاغة بعامّته كان قد مرّ بأطوار، أوّلها: الطّورُ الّذي برز فيه عمرو بن بحر الجاحظ ت «٢٥٥هـ»، وكان الشّائع أنْ يُسمّى هذا الفنّ في ذلك الحين: «البيان»، فقد ألّف الجاحظُ فيه كتابه «البيان والتبيُّن»، «إلّا أنّ الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثةٌ في تضاعيفه ومنتشرة في أثنائه؛ فهي ضالّةٌ بين الأمثلة، لا توجَد إلّا بالتأمّل الطّويل والتّصفُّح الكثير»[1].

ثم أعقبَه الطّورُ الثّاني، وهو الّذي أبرزه الخليفة العبّاسيّ الأديب الشّاعر عبد الله ابن المعتزّ ت «٢٩٦هـ»، إذ صنَّفَ كتابه:«البديع»، وذكرَ في مقدّمتِه أنَ النّاس في عصرِهِ أطلقوا هذا المُصطلَح للدّلالةِ على علم البلاغةِ بعامّة[2]، كما أبانَ في كتابه الغرضَ الّذي من أجله وَضع هذا الكتاب، فقال: «وإنّما غرضُنا في هذا الكتاب تعريف النّاس أنّ المحْدَثين لم يَسبقوا المتقدّمين إلى شيء من أبواب البديع»[3]، ويظهر من ذلك أنّه أراد بيان أنّ العَرَب القدماء لا يَجهلونَ شيئًا من أبوابِ البلاغة، وأنَّ غاية عمَل المحْدَثين أنّهم وصَفُوا وقعّدوا واصطَلَحوا وشرَحوا، كما هو الشّأن في سائر علوم اللّغة.

أما الطّور الثّالث، فهو الّذي تفنّن فيه ابنُ طباطبا العلوي ت «٣٢٢هـ» ومعاصره قدامةُ بن جعفر ت «٣٣٧هـ»، فجدَّدا في هذا الفنّ تجديدًا ملحوظًا بما أوتيا من علمٍ في المنطق والفلسفة، فأعمَلا أدواتِهما في أبوابِ علمِ البلاغةِ والنّقد الأدبيّ.

وقد تناول ابنُ طباطبا في كتابِه«عيار الشّعر»: تحديدَ مفهوم الشّعر، وبيانَ شرائطِهِ، وضوابطَه، وأسهبَ في ذلك. ثمّ تكلّمَ على نقدِ الشّعر ومعرفةِ جيّدِهِ من رديئِه.

أما قدامة فوضعَ كتابه«نقد الشّعر»، وصرّح بأنّه لم يَسبقه إلى الكلام عن الشّعر من هذه الجهة أحدٌ[4]، أيْ: من جهة بيان رديئه من جيّده؛ فلعلّه ألّفه في زمن مقارب لتأليف ابن طباطبا، إذ لم يطّلعْ أحدُهما على عمل الآخر، ويبدو أنّه أراد أنَّ السّابقين لم يضَعوا تصنيفًا مفرَدًا في هذا الجانب يَحوي قواعدَ يَرجعُ إليها الدّارسُ، وإلّا فإنَّ الجاحظَ وابنَ المعتزّ وغيرَهما قد تطرَّقوا إلى ذلك كثيرًا، لكن لا على جهة الإفراد والتّخصيص.

وبعدَ هذا جاء الطّور الرّابع الّذي ظهرت فيه بعضُ الأعمال المختصَّة بنقد شعراء معيّنين في النّصف الثّاني من القرن الرّابع، الهدف منها: أنْ ينطلقَ النّاقدُ من نماذجَ معيّنةٍ لإبرازِ قواعدَ نقديّة وبَلاغيّةٍ صالحةٍ للتّعميم والقياس. فمن هذه

(١) الصّناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٩٩٩م، ص٥.

(٢) البديع،ابن المعتز، عبد الله، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص٧٣.

(٣) المرجع السّابق، ص٧٥.

(٤) نقد الشّعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ط١، ١٨٨٥، ص٢.

المؤلَّفات مثلًا: كتاب «الموازنة بين شـعر أبي تمّام والبحتريّ» لأبي القاسـم الآمـديّ ت «٣٧٠هـ» ، وكتاب«الموشّـح في مآخـذِ العلماء على الشّـعراء» لأبـي عبد اللّـه المرزبّانـيّ ت «٣٨٤هــ»، وكتاب «الوساطة بين المتنبّي وخصومه» للقاضي أبي عليّ الجُرجانيّ ت «٣٩٢هـ» .

ومـن جهةٍ أخـرى تتّصل اتّصـالًا وثيقًا بتطوُّر مراحل فنّ البلاغة: برزت في القرن الرّابع مؤلّفات تُعنـى بقضيّة إعجاز القـرآن الكريم، وهو جانبٌ مهـمّ من جوانـب الطّرح البَلاغـيّ، وما جرى فيه من جدلٍ حينَها داخلَ مدرسة المعتزلة وخارجَها؛ فكان مِن أقدَم مَن ألَّف في ذلك[٥]: مُحَمَّد الواسطيّ ت «٣٠٦هــ »، في كتاب «إعجـاز القرآن في نظمه وتأليفـه». ثمَّ ظهـرَت بعد ذلك عدّة مـن التّآليف منها:«النّكـت في إعجـاز القـرآن» لأبـي الحسـن الرّمّانـيّ ت« ٣٨٦هـ» ، و «بيـان إعجاز القرآن» لأبي سـليمان الخطّابيّ ت «٣٨٨هـ »، و «إعجاز القـرآن»، لأبـي بكـر الباقلانـيّ ت «٤٠٣هــ »، و«المغنـي في أبـواب التّوحيـد والعـدل» للقاضي عبد الجبّار الأسـدَاباديّ ت «٤١٥هـ» إذْ خصَّصَ الجزء السّادس عشر من كتابه للحديث عن إعجاز القرآن.

ومنـذ أواخر القـرن الرّابـع إلى منتصف القرن الخامـس كان الطّـور الخامـس الّـذي ظهـرت فيـه المؤلَّفـات المتكاملـة في علم البلاغـة، ككتاب «الصّناعتـين: الكتابـة والشّـعر» لأبـي هـلال العسـكريّ ت بعـد «٣٩٥هـ»، وكتـاب «العمدة في صناعة الشّـعر ونقده» لابن رشـيق القيروانيّ ت «٤٥٦هـ» . ولكـن كانت الرّيادة في الاصطلاح عليهـا بمُصطلَـح البلاغة للرّاغـب الأصفهانيّ ت نحو «٤٠٩هـ »في كتابه«أفانين البلاغة».

ثمّ بعد ذلـك أتى الطّور الّـذي تُوّجت فيه البلاغة بتـاج الإبـداع عـلى يـد عبـد القاهـر الجرجانيّ ت «٤٧١هـ » في كتابَيه «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز».

وكلُّ ما سبق ذِكره من أطوار لم يكن فيها تحديدٌ واضح لأقسـام البلاغة، ولم تكن البلاغة منفصلة عن قواعد النّقد، فكلاهما يسـعى إلى أنْ يتحقّقَ في العبارة الأدبيّة: الصّدقُ، والقوّةُ، والجمال.

المَبحَث الأوّل: نشأة علم المَعاني

إنّ علـم المَعانـي هو القسـيم الأهمّ من أقسـام البلاغة العَرَبيّة كما سـيتبيّن من أقـوال أهل الفنّ في المَبحَث اللّاحـق. وقد كانت مباحث علم المَعاني منثـورةً في تضاعيف مباحث علـم البلاغة عمومًا، دون أن تُصـاغ تحـت اصطلاح معـيَّن أو تُجمع أقسـامه في وحدةٍ مسـتقلّة، وخيرُ شاهد على ذلك: الكتبُ المذكورة في المَبحَث السّابق.

ولعلّ عبارة «معاني النّحو» الواردة في المناظرة الّتي جرت بين أبي سـعيد السّيرافيّ ت «٣٦٨هـ» ومتّـى بن يونس ت «٣٢٨هــ »في مجلس الوزير أبـو الفتـح بن الفـرات ت «٣٢٦هــ»، كانت من أقدم الإشـارات إلى هذا المُصطلَـح بمعناه القريب من البلاغة[٦].

ولكـن عنـد مجـيء عبـد القاهـر الجرجانيّ أصبحـت لِعلم المَعانـي مكانة خاصّة ومسـتقلّة، فأبدع نظريّة علم المَعاني في كتابه«دلائل الإعجاز»، فهو بحـقّ يُعَدُّ المؤسِّـس لهذا العلـم، وقد دارَ في

(٥)يُنظَـر: إعجـاز القـرآن والبلاغـة النّبويـة، مصطفى صادق الرّافعي، دار الكتاب العَرَبيّ، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥، ص١٠٦.

(٦)يُنظَر: أساليب بَلاغيّة، أحمَد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٨٠، ص٦٧.

فلَكـه بعـض البَلاغيّـين بَعـده، كالزّمخشريّ ت «٥٣٨هـ»، والفخر الرّازيّ ت «٦٠٦هـ». ثمّ جاء بعدَهم أبو يعقوب السّـكّاكيّ ت «٦٢٦هـ» الّذي قسّـم علوم البلاغة إلى المَعاني والبيان والمحسّنات البديعيّة وجعلَها في قوانينَ وقواعدَ، ولكنّه أدخلَها في مصنع القوالِب المنطقيّة فصارت أقرب إلى العلم الجامد منها إلى الفنّ التّذوّقيّ[٧].

ثـمَّ توالت بعد ذلـك الجهود في التّأليف البَلاغيّ، غـيرَ خارجـة في مُجمَلها عمّا رسـمه السّـكّاكيّ؛ فأغلـب المؤلَّفـات مـن بعـده كانت تنبنـي عليه، فعُمِلـت على كتابه التّلاخيصُ والشروحُ والحواشي والمنظومات، ممّا يطول بَيانه في هذه النّبذة.

ويمكـن القول إنّ تصانيفَ أهل البلاغة تنقسـم على قسمين:

قسمٌ شموليٌّ يضمّ سائر موضوعات علم البلاغة، كمـا فعـل ابـن النّاظـم ت «٦٦٨هـ» في كتابه: «المصباح»، والخطيب القزوينيّ ت «٧٣٩هـ» في كتابَيـه: «الإيضاح» و «التلخيـص»، والتّفتازانيّ ت«٧٩٢هـ» في كتابَيه: «المطـوّل» و«المختصَر»، وابن الشّحنة ت ٨١٥هـ في منظومته: «مئة المَعاني والبيـان»، والسّـيوطيّ ت «٩١١هـ» في نظمـه وشرحه:«شرح عقود الجمان في المَعاني والبيان»، والملَّـويّ ت «١١٨١هـ» في نظمه وشرحه:«شرح نظم التّلخيص»، وغيرهم كثير.

وقسـمٌ آخَـر اجتزائـيٌّ، يجتزئ نوعًـا من أنواع البلاغة، أو موضوعًا فرعيًّا واحدًا فيفرد له رسالة، فقد يكون الموضوع تابعًـا لعلم المَعاني أو البيان أو البديع.

فقـد أُفـرِدتْ في علـم البديـع بعـض التّآليف، كالمنظومـات البديعيّة الّتـي دار موضوعها حول المديح النّبوي، وغرضها الأساس: تعليم المحسّنات البديعيّـة. ويُعـدّ مِـن أوّلهـا وأشـهرها: بديعيّة صفـيّ الدّين الحلّيّ ت «٧٥٢هـ»، وتوالت بعدها المنظومات والشروح.

أمـا علم البيان، فقد أُفرِدتْ فيه هو الآخر بعضُ التّآليف، منها: حاشية يوسف الكرماستي ت نحو «٩٠٠هـ» على «المطوّل» للتفتازانيّ اقتصر فيها عـلى علم البيـان، فضلاً عن كتابـه الآخَر:«أصول الاصطلاحـات البيانيّـة». ومنها أيضًـا: منظومة «الإيجـاز في التّشـبيه والكنايـة والمجـاز» لُمحَمَّد أفندي الطّهطاوي كان حيًّا سنة ١٣١٨هـ.

أمّا المؤلَّفـات المختصّة بموضوعات علم المَعاني، فأوَّلُهـا كتابُ«دلائـل الإعجـاز» لعبـد القاهـر الجرجانيّ. ثم جاء بعـض البَلاغيّين ممن شرحوا متون السّـابقين، مثل: يوسـف الكرماستيّ، الّذي أفرد حاشـية على «المطـوّل» للتفتازانيّ مقتصرة على علم المَعاني.

وأما الرّسـائل المفردة لبعـض موضوعات علم المَعاني، فمنها: «الإعجاز في بلاغة الإيجاز» لُمحَمَّد الأصفهانـيّ ت «٦٨٨هـ»، و«القـول الفصل في الفصل والوصل» للشّهاب الملَّويّ ت «١١٨١هـ»، و «البِشَر بتحقيق بحث الإنشاء والخبَر» للمرشديّ المكّيّ ت «١٠٣٧هـ».

وأمـا في العصر الحديث فقـد أُفردت الكثير من المؤلَّفـات المسـتقلّة لمباحـث علم المَعانـي، وجُلُّها حصيلة جهود جامعيَّة، كأنْ تَكونَ في أصلها مادّة منهجيّة لمحاضرات الأساتيذ، أو رسائل ماجستير ودكتوراه للباحثين، ومِن أشهر هذه المصنّفات: «خصائـص التّراكيب» لُمحَمَّد أبو موسى ١٩٧٤م، ويلحظ القارئ فيه رؤية تجديديّة في هذا الفن.

---

(٧) يُنظَـر: علـم المعاني، عبد العزيز عتيـق، دار النّهضة العَرَبيّة، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص٢٥-٢٨.

«أسـاليب بَلاغيّة» لأحمَد مطلـوب ١٩٨٠م، وهو مقرّر دراسيٌّ ليس فيه للتّجديد نصيب، لأنه يهدف إلى دراسة القديم جمعًا وتيسيرًا وتقريبًا.

«علم المَعاني» لعبد العزيز عتيق ١٩٨٥م، ويلحظ القارئ فيه ملحوظات ومآخذَ على البلاغة القديمة.

«علـم المَعانـي» لوليـد قصّـاب ٢٠١٢م؛ وهـو تلخيـص وتهذيب لأبواب علم المَعاني مما علَق بها من فضولٍ وجدلٍ ومسائلَ كلاميَّة.

المَبحَـث الثّانـي: تعريـف علم المَعانـي وبيان مكانته

أوّلًا: تعريفه وموضوعه:

عِلمُ المَعاني يمكن أنْ نلخّص مفهومه في أنّه: عِلمٌ يُعنـى بتراكيب الكلام، من حيـث تعلّقها بالمَعنَى بحسب مُقتَضى الحال.

وتراكيـب الـكلام «عند أهـل العِلم عشرة: خبر، واسـتخبار، وأمر، ونهي، ودعاء، وطلب، وعرض، وتحضيـض، وتمـنٍّ، وتعجُّـب»[٨]. فمـا يتعلّـق بمعاني هـذه التّراكيب، فهو داخِلٌ في مباحث علم المَعاني.

والمراد بقولهم «مُقتَضى الحال»: أيْ ما يقتضيه المَقـام مِن أحوالٍ عارِضةٍ تَعـرِض للّفظ، فتُوجِب التّقديـم أو التّأخـير أو التّعريـف أو التّنكـير أو الحـذف أو الذّكر وغير ذلك ممّا سـيأتي بيانه في مُصطلَحات علم المَعاني.

قـال السّـكّاكي في بيان حَدِّ علـم المَعاني: «هو تَتبُّعُ خواصِّ تراكيبِ الكَلام في الإفادة، وما يتَّصل بها مِن الاسْتحسانِ وغَيره، ليُحترَزَ بالوقوفِ علَيها عَن الخطَـأ في تَطبيق الكَلام علَى ما يَقتضي الحالُ ذِكْره »[٩].

وهـذا التّعريـف اختـصره مِن بَعـده الخطيبُ القزوينيّ في عبارةٍ موجَزةٍ فقال:«هو عِلمٌ يُعرَف بهِ أحوالُ اللّفظ الّتي بها يُطابِق مُقتَضى الحال»[١٠].

ومِـن تعريف عِلـم المَعاني يُفهَـم أنَّ موضوعَه دائـرٌ عـلى اللّفـظ العَرَبيّ مـن حيث إفـادةُ هذا اللّفظ المَعانـي الثّانوية، وليسـت المَعاني الأوّليّة، لأنّ المَعاني الأوّليّة هـي المَعاني اللّغويّة: المعجميّة والنحويّة والصرفيّة، أمَّا الثّانويّة فهي الّتي تكون مـا وراء ذلـك، لأنّها تراعـي مقتضيـات الأحوال للمتكلّم والمتلقّي، فهي على ذلك يمكن أن تُسـمَّى: مَعنَى المَعنَى[١١].

ثانيًا: مكانتُه وفائدتُه:

رأى السّكّاكيّ أنّ عِلم المَعاني هو أُسُّ عِلم البلاغة، ومنه يتشعّبُ عِلمُ البيان[١٢].

وصرَّح بعـضُ البَلاغيّـين بـأنّ عِلـمَ المَعانـي هو أصعب علوم البلاغة[١٣].

ولذلك اكتسـب عِلـم المَعاني مكانــة عالية بين العلوم، لأنّهُ ألصَقُها بـكلام اللّه تعالى القرآن، فبهِ عُرف إعجاز نَظْمه العظيم.

ولذلـك قـال الهاشـميّ:«فائدتُه: معرفةُ إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصَّه اللّه به من جَودة

(٨)الصّاحبي في فقه اللّغة، ابن فارس، تحقيق: مصطفى الشّـويمي، مؤسسـة بـدران للطباعـة، بـيروت، ١٩٦٤، ص١٧٩.

(٩) مفتـاح العلوم، السّـكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص١٦٢.

(١٠) الإيضـاح، الخطيـب القزوينـي، تحقيـق: محمـد خفاجي، دار الجيل، لبنان، ط٣، ١٩٩٣، ١/ ٥٢.

(١١) يُنظَـر -للمزيد-: أسـاليب بَلاغيّـة، أحمَد مطلوب، ص٨٤.

(١٢) مفتاح العلوم، السّكاكي، ص١٦٢.

(١٣)يُنظَـر: شرح نظم التّلخيص، شـهاب الدّين الملّوي، مخطوطة بمكتبة مجمع اللّغة العَرَبيّة، دمشق، رقم ٤٠٦، اللوحة: ٧.

السّبْك، وحُسْن الوصْف، وبَراعة التّراكيب، ولُطف الإيجـاز، وما اشـتمَل عليه من سـهولة التّركيب، وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظه وسلامتها، إلى غير ذلك من محاسنه الّتي أقعدت العَرَب عن مناهضته، وحارت عقولُهم أمامَ فصاحتِه وبلاغتِه»[١٤].

كمـا أوضَـحَ أنّ فائدتَـه لا تقتـصرُ على إعجاز القرآن، بل تَشملُ أيضًا: الوقوفَ على أسرار البلاغةِ والفصاحـة في مَنثورِ كلامِ العَـرَب ومَنظومِه، كي يُحتـذى حذوه، ويُنسَـجَ على منوالِـه، ويُفرَّقَ بين جيِّد الكلامِ ورديئِه[١٥].

لذلـك فـإنّ مكانة علـم المَعاني هـي مكانةٌ في المَرتبـة العُليا بـين علوم اللّغـة العَرَبيـة -عامّةً، والفنـون البَلاغيّـة -خاصّـةً-، لأنه يشـتمل على جميـع هذه العلـوم والفنون، لغـةً ونحوًا وصرفًا وبيانًـا وبديعًا... ويزيدُ عليهـا بأنّه عِلمٌ يبحثُ في أسرارِ تراكيبِ الكلام، ويكشـفُ عن دلائلِ المَعاني الدّقيقـة الكامنة فيـه، فليسَ فيـه جُمَل مترادفة، بل لـكلّ جُملَة مَعنَى خاصٌّ بها؛ فلو قيل -مثلًا-: جـاء زيدٌ وزيدٌ جاء، فإنّهما عند النّحويّ في المَعنَى سـواء، ولكنهما عند صاحب المَعاني ليستا كذلك، بـل لا بدّ له مِن أنْ يَكشِـف عـن سرِّ اختلاف هذا التّركيب في التّقديم والتّأخير.

المَبحَـث الثّالـث: مُصطلَحـات علـم المَعانـي وأساليبه وأبوابه

مُصطلَحـات علـم المَعانـي متوزّعـة على ثلاثة أقسـام: الأول: القسـم الّذي يُعنى بأسـماء أصل الكلام المركّب أيْ: الجُملَة العَرَبية، والثاني: القسم الّذي يُعنى بأساليبِ ذلك الكلام المركّب وأغراضِه، والثالث: القسـم الّذي يُعنى بالأبواب الّتي تندرج تحتها تلك الأساليب والأغراض.

أولًا: مُصطلَحات علم المَعاني:

وبادئ الأمر لا بدّ أن نعرض للقِسم الأول، وهو المَعنيّ بأسـماء أصـل تركيب الـكلام، أي الجُملَة القائمة على عملية الإسناد، فهي تتكوّن من ركنين يسمّيان: المُسـنَد إليه والمُسـنَد، وقد يُكتفَى بهما، وقد يزاد عليهما عند الحاجة ما يسـمّى متعلّقات الفعل.

فأمـا الإسـناد، فهـو في اللّغة يراد بـه في الأصل انضمام الشّيء إلى الشّيء، وتعضيده به، أو تعويله عليه، فيفيد مَعنَى الرّكون والاعتماد[١٦].

وفي الاصطـلاح هو ضَمُّ كلمـةٍ إلى أخرى أو ما جـرى مَجراهما، بحيث يفيـدُ هذا الضّـمُّ الحُكْمَ بِمَفهـومٍ لِمفهـومٍ[١٧]؛ فيعمـلُ الإسـنادُ على بيان العلاقة الرّابطة بين رُكنَي الجُمل اللّذَين «لا يُغْني واحدٌ منهما عن الآخَر، ولا يَجِد المتكلّم منه بُدًّا»[١٨] وهُما:

المُسـنَدُ إليه، وهو ما يُخبَرُ عنهُ مِن الكلام، ويُحكَم علَيه.

والمُسنَدُ، وهو ما يُخبَرُ بِهِ مِن الكلام، وبه يُحكَم. فـالأول المُسـنَدُ إليـه لا يكـونُ إلا اسـمًا، ويتمثّل

(١٤) جواهـر البلاغة، أحمَد الهاشـمي، تحقيق: يوسـف الصّميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص٤٧.

(١٥) يُنظَر: المرجع السّابق.

(١٦)يُنظَـر: الصّحـاح، الجوهـريّ ٢/٤٨٩. ومُعجـم مقاييس اللّغة، ابن فارس، ٣/١٠٥.

(١٧)يُنظَـر: الأطوَل، العصام الإسـفراييني، تحقيق: عبد الحميد هنـداوي، دار الكتـب العملية، بـيروت، ٢٠٢١م، ٢/٤٨٩. وهـذا التّعريـف يَجمـع بين تعريف السّـكّاكي وتعريف شُرّاحه، يُنظَر: حاشـية الدّسـوقي على مختصر المعانـي، تحقيق: عبد الحميد هنـداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٢م، ١/٣٤٨.

(١٨) يُنظَر: الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، ١/٢٣.

-مـن حيـث الإعراب- بالمبتـدأ أو ما أصلـه مبتدأ -في الجمـل الاسـميّة-، والفاعل أو مـا ينوب عنه -في الجمل الفِعليَّة-. والثاني المُسـنَد يكون اسـمًا أو فعـلًا، ويتمثّل -من حيث الإعـراب- بالخَبَر أو ما يسـدُّ مَسده -في الجمل الاسـميّة-، والفعل -في الجمل الفِعليَّة- أو ما يعمل عمله[19].

وما زادَ على رُكنَي الجُملَة فيُسـمّى عند البَلاغيّين: متعلّقـاتُ الفعل، وهذه المتعلّقـات هي المعمولات الّتـي ترتبـط معانيهـا بالأفعـال وأشـباهها، وتتمثّـل -من حيـث الإعراب-بالمَفاعيل،والأدوات، والصفات، والحال، والتمييز؛«وهذه المتعلقات أقل في الأهميـة من رُكنَي الجُملَة، ومع ذلك فقد تتقدَّم عليهما أو على أحدهما»[20].

وهذه الجُملَة المتكوّنة من المُسـنَد إليه والمُسـنَد -ومن متعلقات الفعل أحيانًا-، تكون على نوعين: إما خبرية أو إنشائية[21].

فإذا كانـت الجُملَة خبريّة فمَعنَى ذلك أنّها كلامٌ للإخبار عن شيءٍ مـا، قابلٍ للتصديق أو التّكذيب، كأن يُقال:«الشمسُ طالعة».

وإذا كانت الجُملَة إنشـائيّة فمَعنَى ذلك أنّ القائل يُنشئ كلامًا على جهة الطّلَب أو الشّعور أو الإقرار، فالإنشـاء الطّلَبيّ يتمثّل في: الأمـر والنَّهي والدُّعاء والاسـتفهامِ والتمنّي والنِّداءِ. والإنشاء الشّعوري يتمثّـل في: المدح والـذمّ والتوجّـع والتفجّع ونحو ذلك. والإنشـاء الإقراريّ يتمثّـل في: عبارات إبرام العُقود وفَسخها.

والبَلاغيّون يُعنَون بالإنشـاء الطّلَبيّ خاصّة، لِما فيه من تَفنُّن في القول، فيَخرُج إلى أغراضٍ بَلاغيّة أخرى تُفهَم من سِياق الكلام[22].

والحاصـل أنّ عِلـم المَعانـي يَنظـر إلى الجُملَة الخبريـة والجُملَـة الإنشـائية، فيَدرُس مـا يطرأ عليهما من خروج عن أغراضهما الأصلية؛ فالجُملَة الخبريـة تخرج عن غرضها إلى أغراض إنشـائية، والجُملَة الإنشـائية تخرج عن غرضها الأساس إلى أغراض إنشائية أخرى.

ثانيًا: أساليب علم المَعاني:

أما مُصطَلَحات الأساليب المختصّة بعلم المَعاني، فهي الّتي تتّصل برُكنَي الكلام المركّب المُسـنَد إليه والمُسـنَد ومتعلّقات الفعل، سواء أكان الكلام خبرًا أم إنشـاءً. فأذكُر هنا أهمَّ هذه المُصطَلَحات مرتّبة على حروف المعجم – مع ما يقابلها غالبًا –[23]:

١-٢. الإضمار والإظهار.

فالإضمـار: يُراد بـه الإخفاء والإبهـام في الكلام، وتحصل البلاغة فيه من جهـة قصد المبالغة، وبه يتحقّق تشوُّق السّـامع إلى معرفة المبهم[24]، وهو من أقسـام الحذف والإيجاز. ومـن أمثلته قولهم: نِعْمَ وبِئسَ.

والإظهار: عكس الإضمار، وقد تقتضي البلاغةُ أنْ يُظهـرَ ما حقُّه الإضمار، لتجنّـبِ الإيهام، أو لغير ذلك من فوائـدَ ذكرها البَلاغيّـون، وعدّوا الإظهارَ من أقسامِ الذّكر والإطناب[25].

٣-٤. الإطلاق والتّقييد.

فالإطـلاق: يكونُ إذا اقتـصرَ في الجُملَة على ذِكر

(١٩)يُنظَـر: البلاغـة العَرَبيّـة، عبد الرّحمـن حبنكة، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م ١/ ١٥٥.

(٢٠) جواهر البلاغة، أحمَد الهاشمي، ص١٦٣.

(٢١) يُنظَـر هذا الموضوع بإسـهابٍ وتفصيلٍ في: البلاغة العَرَبيّة، عبد الرّحمن حبنكة، ١/ ١٦٦-٣٠٣.

(٢٢) يُنظَر: أساليب بَلاغيّة، أحمَد مطلوب، ص١١٠.

(٢٣) استعنتُ -في استخراج كثير منها- بموسوعة: معجم المصطلحـات البَلاغيّـة وتطوّرها، أحمَد مطلـوب، المَجمعُ العلميُّ العراقيّ، بغداد، ط١، ١٩٨٣-١٩٨٧م.

(٢٤) يُنظَر: أساليب بَلاغيّة، أحمَد مطلوب، ص٢٤٨.

(٢٥) يُنظَر: المرجع السّابق، ص٢٤٩-٢٥١.

رُكنَيهـا المُسـنَد إليه والمُسـنَد، حـين لا يُحتاج إلى تقييد الحكم، لكي يذهب السّـامع فيه كلَّ مذهبٍ ممكنٍ[٢٦]، نحو: الحقُّ منتصِر.

والتقييـد: يكون إذا زِيدَ على رُكنَـي الجُملَة شيءٌ ممّا يتعلّـق بهما -أو بأحدِهما-، حيث يُرادُ زيادة الفائدةِ وتقويتُها عند السّامع، فكلّما كثرتْ قيوده ازدادَ وضوحًـا وتخصيصًا، وربّما لو حُذف القيدُ لـكان الـكلامُ كذبًا، نحو قوله تعـالى: {وما خَلَقنَا السّـموات والأرضَ وما بينهُما لاعِبِين}، فلو حُذف الحال وهـو لاعبين لكان الكلام كذبًـا[٢٧]، وحاشَ للهِ.

٥-٦-٧. الإيجاز والإطناب، وبينهما: المساواة.

فالإيجاز: يُرادُ به التّقليـلُ والاختصارُ في الكلام، وهو حسَـنٌ لا يُـذمُّ إلّا إذا أدّى إلى إخلالٍ في تأدية المَعنَـى. ولذلك حدّوه بقولهم: هو أنْ يَكونَ اللّفظُ أقلَّ مـن المَعنَى مع الوفاءِ بـه[٢٨]. وهو من أخصّ مَظاهر البلاغة عند العَرَب.

والإطنـابُ: عكـسُ الإيجـاز، ويـرادُ بـهِ الطّولُ والتتابـعُ في الـكلام، وهو حسَـنٌ في موضعِه، فلا يُـذَمّ عند الحاجةِ إليه، ولذلك حـدّوه بقولِهم: هو زيادةُ اللّفظ على المَعنَى لِفائدةٍ[٢٩]. وبهذا تميّز عن الإطالة الّتي هي زيـادة من غير فائدة، وقد يُطلَق عـلى الإطناب: البسـط[٣٠] ولكنه بهـذا الاصطلاح يشمل الزّيادة بفائدةٍ والزيادةَ بعدَمِها.

والمُساواة: وسـطٌ بين الإطنابِ والإيجازِ، فهيَ أنْ يَكونَ اللّفـظُ بمقدارِ أصلِ المُرادِ لا ناقصًا عنه ولا زائدًا عليه[٣١].

٨-٩. التّعريف والتّنكير.

فالتعريفُ يكونُ في الأسماءِ، والاسمُ المُعرَّفُ يدلُّ عـلى شيءٍ بعينِه، وهو على أنواع خمسـة، أشـدُّها معرفةً: المُضمرُ، ثُمّ العلَمُ، ثُمّ اسمُ الإشارةِ، والاسمُ الموصولُ، ثُمّ المُعرّفُ بالألفِ واللام، ثُمّ المُضافُ إلى واحدٍ ممّا سبَق إضافةً مَعنويّة[٣٢].

والتنكـيرُ يكـونُ في الأسـماء -أيضًا-، والاسـم المُنَكَّر لا يدلُّ على شيءٍ بعينِه، بل يدلُّ على العموم، وتتفاوتُ النّكِراتُ -أيضًا- في مراتب التّنكير، وكلّما ازدادت النّكِرة عمومًـا زادت إبهامًا وغموضًا[٣٣]، فتُفيـد بذلـكَ فائدةً تقـصُرُ عنها المعرِفـةُ في ذلك الموضِع، مثالُ ذلك قولُه تعالى: {ولَكم في القصاصِ حَياة} فنكّر حياة لإفادةِ المدحِ والتعظيم، أي حياةٌ كريمة عظيمةٌ[٣٤].

١٠-١١. التّقديم والتّأخير.

الأصـل في رُكنَي الجُملَـة أنْ يَتقدّمَ المُسـنَدُ إليهِ على المُسـنَدِ في الجُملَة الاسميّة، ويتقدّم المُسنَد على المُسنَد إليه في الجُملَة الفِعليَّة، ومتعلّقاتُ الفعل تَلي ركنَـي الجُملَة في التّرتيب لأنَّهـا توابعُ لهما، ولكن قد يتقـدّمُ أحدُ الرّكنـين ويتأخّرُ الآخَـرُ، أو تُقدَّمُ مُتعلّقـاتُ الفعلِ عليهمـا أو عـلى أحدِهما، وذلك لأغـراض بَلاغيّة شـتّى[٣٥]، منها: إفـادةُ زيادةٍ في المَعنَى مع تحسـينٍ في اللّفظ، كمـا في قولِه تعالى: {وجـوهٌ يومئـذٍ نـاضِرةٌ إلى ربّها ناظِـرة} فتَقدَّم الجـارُّ والمَجرور لإفـادة التّخصيص وأنّ النّظر لا

(٢٦) يُنظَر: جواهر البلاغة، أحمَد الهاشميّ، ص١٤١.

(٢٧) يُنظَر: المرجع السّابق.

(٢٨) المرجع السّابق، ص٢٠٦.

(٢٩)المثل السّائر، ابن الأثير، تحقيق: أحمَد الحوفيّ وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٢٨/٢.

(٣٠)يُنظَـر: أفانيُن البلاغة، الرّاغـبُ الأصفهانيُّ، تحقيق: عمر ماجد السّنويّ، دار أروقة، عمّان، ٢٠٢٠م، ص١٤٥.

(٣١)الإيضاح، القزويني، ص١٧٧.

(٣٢) يُنظَر: أساليب بَلاغيّة، أحمَد مطلوب، ص١٤٣.

(٣٣)يُنظَر: المرجع السّابق.

(٣٤)يُنظَر: السّابق، ص١٥٦.

(٣٥) يُنظَر: جواهر البلاغة، أحمَد الهاشميّ، ص١٢٣.

يكون إلّا لله، مع جودة النّظم وتوحيدِ الفاصلة.

١٢-١٣. الحذف والذِّكْر.

الأصلُ في رُكنَي الجُملَة -المُسنَد إليه والمُسنَد- أنْ يُذكَرا ولا يُحذَفا ليَستبينَ الكلامُ ولا يَستغلق على المتلقِّي، ولكن قد يتعرّضُ أحدُهما للحذفِ إنْ وُجِدَتْ قرينةٌ تدلّ عليه، وقد يتعرّضُ أحدُهما للذكْر في موضعٍ يَجوزُ فيه حذفُه، وربَّما تُذكَرُ بعضُ مُتعلّقاتِ الفعلِ ويُحذَف أحدُ رُكنَي الجُملَة، وكلّ ذلك راجعٌ إلى أغراضٍ بَلاغيّة شتّى يَقصدُ إليها المُتكلّم. فمن دواعي الذّكْر: زيادةُ الإيضاحِ والتوكيدِ والتعظيم والاستلذاذ وغير ذلك، ومن دواعي الحذف: الاختصارُ والتعميمُ واستهجانُ الذّكر وغيرُ ذلك، وهو من أقسام الإيجاز.

١٤-١٥. العامُّ والخاصُّ.

وهما من مُصطلَحاتِ بعض البَلاغيّين، وقد فاتَ ذِكرُهما صاحبَ«مُعجَم المُصطلَحاتِ البَلاغيّة».

والمرادُ بهما أن يُؤتى بلفظ عامّ في حالِ الإثبات ليكون أبلَغ، ويُؤتى بلفظ أخصّ منه في حالِ النّفي ليكون أبلَغ. نحو قولِه تَعالى: {قالَ الملأ من قومِه إنّا لَنراكَ في ضَلالٍ مُبين، قالَ يا قوم ليسَ بي ضَلالة}، ففي الإثبات قالوا: ضلال، بلفظٍ عام، وفي النّفي قال: ضلالة، ليكون أبلغ في النّفي، فإنّه إذا انتفت الضّلالة الواحدة، لزم انتفاء الضّلال كلّه[٣٦].

١٦-١٧. الفصل والوصل[٣٧].

فالوصلُ هو عطفُ مُفردٍ على مُفرد، أو عطفُ جُملَةٍ على جُملَة، والفصلُ هو تركُ العطف، وحروفُ العطفِ معلومة، لكن المُعوَّل عليه هنا هو الواو لأنَّه يُفيدُ التّشريكَ مع الرّبط.

والمَواضعُ الّتي يُوجِبُ فيها البَلاغيّون الفصلَ أيْ: عدم العطف بالواو خمسة:

الأوّلُ: أنْ يَكونَ بين الجُملتَين اتّحادٌ تامّ وهو ما يسمّى كمالُ الاتّصال، كأنْ تَكونَ الجُملَةُ الثّانية توكيدًا للأولى، كقوله تعالى: {كأنْ لم يَسمعْها، كأنَّ في أذنيهِ وَقرا}، فالجُملَةُ الثّانية مُقرِّرةٌ لِما أفادتهُ الأولى.

الثّاني: أنْ يَكونَ بين الجُملتَين تباينٌ تامّ وهو ما يُسمّى كمالُ الانقطاع، وذلكَ عندما تختلفُ الجملتان خبرًا وإنشاءً، لفظًا ومَعنًى، أو لا يكونُ بينَ الجُملتينِ جامعٌ أو مُناسبة بل تكون كلُّ جُملَة مستقلّةً بنفسها.

الثّالثُ: أنْ تَكونَ بين الجملتَين رابطة قويّة وهو ما يسمّى الاستئناف أو شِبه كمال الاتصال، كأنْ تَكونَ الجُملَة الثّانية جوابًا عن سؤال يُفهم من الجُملَة الأولى، فتنزل منزلته.

الرّابعُ: أنْ تَكونَ الجُملَةُ الثّانيةُ بمنزلةِ المنقطعةِ عن الأولى وهو ما يُسمّى شِبه كمال الانقطاع، وذلك بأنْ يَكونَ بين الجُملَة الأولى والثانيةِ جُملَة ثالثة حائلةٌ بينهما، فلو عُطِفَت الثّالثةُ على الأولى المناسِبة لها لَتُوُهِّم أنّها معطوفة على المتوسّطة، فيُترَك العطف.

الخامسُ: أنْ تَكونَ الجُملتان متوسّطتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع، وذلك بأنْ يَكونَ بينَهما تناسُبٌ وارتباطٌ، لكن يَمنعُ من عطفهما مانعٌ: وهو عدمُ قصد اشتراكِهما في الحُكم.

أما المَواضعُ الّتي يَجبُ فيها الوصل أيْ: العطف بالواو فثلاثة:

(٣٦) يُنظَر: المثل السّائر، ابن الأثير، ٢/١٦٦.

(٣٧) لخّصتُ هذا الموضوع من: القول الفصل في أسرار الفصل والوصل، لشهاب الدّين الملّويّ، دراسة وتحقيق: عمر ماجد السّنوي وأحمَد غالب الخرشة، مجلّة مجمع اللّغة العَرَبيّة الأردنيّ، السّنة السّادسة والأربعون، العدد: ١٠٧، ٢٠٢٢م، ص٢٠٥ فما بعدها.

الأولُ: أنْ يَكـونَ بين الجملتين كمال الانقطاع مع الإيهام، وذلك بأنْ تَكونَ إحداهما خبرية والأخرى إنشائية ولو فُصِلت لأَوهَم الفصلُ خِلافَ المقصود. ومنه قول البلغاء: لا، وأيّدك اللّه.

الثّاني: أنْ تَكونَ الجملتان متفقتين خبرًا وإنشاءً، لفظًا ومَعنَـى، كقوله تعالى:{إنّ الأبرار لَفي نعيم، وإنّ الفُجّار لَفي جحيم}.

الثّالث: أنْ يَكـونَ للجُملَة الأولى محلٌّ من الإعراب وقُصِدَ إشراكُ الجُملَةِ الثّانية لها في الحكم الإعرابيّ، كقولــه تعالى: {يَعلمُ ما يَلــجُ في الأرض وما يَخرجُ منها، وما يَنزلُ من السّماء وما يَعرجُ فيها}.

١٨. القَصر.

يعرّفــهُ البَلاغيّــون بأنّه تخصيــصُ شيءٍ بِشيءٍ بطَريــقٍ مَخصوص. والــشيءُ الأول: هو المقصور، والــشيءُ الثّانــي: هــو المَقصــورُ عليــه. والطريقُ المَخصــوص للتخصيــص يكون بطــرُق وأدوات، كالنفــي والاســتثناءِ والعطــفِ والتقديــمِ. مثالُه شهادة التّوحيد: لا إله إلا اللّه[٣٨].

١٩-٢٠-٢١. القلب والتّغليب والالتفات.

فالقلــبُ: هو انصرافُ المَعنَى عندمــا يَنقلبُ أحدُ أجزاءِ الكلامِ مكانَ الآخَــر، فيأخذُ كلٌّ منهما حُكمَ الآخَر. وفي كونِه من أساليبِ البلاغة خِلافٌ[٣٩].

والتّغليبُ: ليسَ عكسَ القلبِ، بل ضممتُه إليه لشيءٍ من الشَّــبَه من حيثُ انــصرافُ المَعنَى، فهو إعطاءِ الشّيءِ حكمَ غيره[٤٠]، كتغليــبِ المذكّر على المؤنّث، وتغليــبِ العاقلِ على غيره، وغير ذلــك، وأمثلتُه في كلامِ العَرَبِ كثيرة.

والالتفــاتُ: أيضًــا مــن البابِ نفسِــه مــن حيثُ انصرافُ المَعنَــى، فهو الانصرافُ عن مَعنَىً يكونُ فيــه إلى مَعنَى آخَــر، أو من أســلوبِ المخاطَبةِ إلى أسلوب الإخبارِ والغَيبةِ، وما شابهَ ذلك[٤١].

ثالثًا: أبواب علم المَعاني:

«حصَرَ البَلاغيّون أبوابَ هذا العلم في ثمانية:

أحوال الإسناد الخبريّ.

أحوال المُسنَد إليه.

أحوال المُسنَد.

أحوال متعلّقات الفعل.

القصر.

الإنشاء.

الفصل والوصل.

الإيجاز والإطناب والمساواة»[٤٢].

وجميــع هــذه الأبــواب قــد اتضحــت مفاهيــم مُصطلَحاتها فيما سبق.

والسّــبب في حصر البَلاغيّين عِلمَ المَعاني في هذه الأبــوابِ الثّمانيةِ ما علّــلَ به الخطيــبُ القزوينيّ أنّ «الــكلام أمَّا خبرٌ أو إنشــاءٌ، لأنّــه أمَّا أنْ يَكونَ لِنســبتِهِ خارجٌ تُطابقُــه أو لا تُطابقُه، أو لا يكونُ لها خارجٌ. الأوّلُ الخبَر، والثّاني الإنشاءُ، ثُمّ الخبَرُ لا بُدّ له من إســنادٍ ومُســنَد إليه ومُســنَد، وأحوالُ هذه الثّلاثــةِ هي الأبوابُ الثّلاثةُ الأولى. ثُمّ المُســنَدُ

(٣٨) يُنظَــر: علــوم البلاغة، أحمَد بــن مصطفى المراغي، مطبعة محمد مطر، مصر، ١٩١٧م، ص١٤٤ وما بعدها.

(٣٩) يُنظَــر: أســاليب بَلاغيّة، أحمَد مطلــوب، ص٢٥٦. والحقُّ أنّ أســلوبَ القلبِ ليسَ من أساليبِ البلاغة، إنما هو غلط، يُخرِج الجملة عن مقتضى الظّاهر، ولا يُفهَم معناها إلا بتكلّــفِ تأويلهــا، وكلّ ما زعموه من أمثلــةٍ عليه قد رُدَّ عليــه، منها الآية الّتي استشــهدَ بها السّــكاكيُّ: {وكم من قرية أهلكناها فجاءَها بأسُــنا}، فزعمَ أنَّها بِمَعنى: جاءَها بأسُــنا فأهلكناهــا. وردّ عليه في ذلك الخطيــب القزوينيّ. يُنظَر: الإيضاح، ص٧٩.

(٤٠) يُنظَر: أساليب بَلاغيّة، أحمَد مطلوب، ص٢٦٦.

(٤١) يُنظَر: البديع، ابن المعتــزّ، ص٥٨. وأفانين البلاغة، للرّاغب الأصفهانيّ، ص١٩٧.

(٤٢)علم المعاني دراســة وتحليل، كريمة محمود أبو زيد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٨٨، ص٣٥.

قــد يكونُ له متعلّقــاتٌ إذا كان فعلًا أو مُتّصلًا بهِ أو في مَعناه كاسْــمِ الفاعلِ ونحوه، وهذا هو البابُ الرّابعُ. ثُمّ الإسْــنادُ والتعلُّق كلُّ واحدٍ منهما يكونُ أمَّا بقَصرٍ أو بغيرِ قَصرٍ، وهذا هو البابُ الخامس. والإنشــاءُ هو البابُ السّادس. ثُمّ الجُملَةُ إذا قُرنت بأُخــرى فتكونُ الثّانيةُ أمَّــا معطوفةً على الأولى أو غيرَ معطوفةٍ، وهذا هو البابُ السّابع. ولَفظُ الكلامِ البَليــغِ أمَّا زائدٌ على أصلِ المُرادِ لِفائدةٍ أو غيرُ زائدٍ عليه، وهذا هو البابُ الثّامن»[٤٣].

ويَقتـصرُ بَعـضُ البَلاغيّينَ على الأبــوابِ الأربعةِ الأولى، إذْ هي ذاتُها أجزاءُ الجُملَةِ العَرَبيّة:

الإسناد الخبريّ.

المُسنَد إليه.

المُسنَد.

متعلّقات الفعل.

فإذا عُرِفَــتْ أحوالُ هذه الأبوابِ، وما تَخرُجُ إليهِ من أغراضٍ، عُرِفَتْ بلاغةُ الخِطابِ المُطابق لُمقتَضى الحال، وهو الهدفُ الرّئيسُ لَمباحث عِلم المَعاني. هذهِ هــي مُجملُ الأبواب الّتي يُعالِــجُ عِلمُ المَعاني خلالهــا مَوضوعاتِه، وبها يتبيّن الدّارسُ أســاليبَ هذا العِلم، الّتي تَقدَّم ذِكرُ مُصطَلَحاتِها من قبلُ.

الخاتمة:

نســتخلصُ ممّا ســبَقَ في التّمهيدِ لهذا البحثِ، أنَّ البلاغــةَ العَرَبيّــة منذُ القــرنِ الثّانــي حتّى القرنِ الخامس، قد مرّتْ بأطوارٍ خمسة، وكانتْ مباحثُ علومِ البلاغةِ فيها متداخلة.

وفي المَبحَــث الأوّلِ من هذا البحثِ تَبيّن أنّ نشــأةَ علمِ المَعاني على وجهِ الخصوص كانتْ على يدِ عبد القاهر الجرجانيّ في منتصــفِ القرنِ الخامسِ إذ وضــعَ نظريّتــه في كتابِهِ «دلائل الإعجــاز « دونَ تسميتِه بهذا الاصطلاح، ثم جاءَ السّكاكيُّ في أوائلِ القرن السّــابع واصطلحَ عليه بهــذا المُصطلَح، ثمَّ سارَ البَلاغيّون من بعدُ على منوالِه. وظهرتْ بعضُ المؤلّفــاتِ الّتي اختصّتْ بعلمٍ مــن علومِ البلاغةِ أو بمباحثَ من أحدِها.

وفي المَبحَــث الثّانــي ذِكــرُ تعريفُ علــم المَعاني لدى البَلاغيّين، أنّه علــمٌ يُعنى بتراكيبِ الكلام من حيثُ تعلّقُها بالمَعنَى بحسب مُقتَضى الحال. وفيه بيــانٌ لَمعنَى«تراكيبِ الــكلام» و«مُقتَضى الحال»، بالإضافة إلى بيانِ موضوعِه الّذي هو اللّفظ العَرَبيّ من حيــثُ إفادتُهُ المَعاني الثّانوية. وفي هذا المَبحَثِ أيضًا بيــانُ مكانةِ هذا العلمِ الّتي نصّص بعضُهم على كونِه أهمَّ علومِ البلاغةِ وأصعبَها.

وفي المَبحَــثِ الثّالثِ رصــدٌ لُمصطَلَحــاتِ هذا الفنّ الأساســيّة، ثــم مُصطَلَحــات أغلبِ أســاليبِهِ وما يقابلُهــا، والتعريف بكلّ مُصطَلَــحٍ منها بإيجاز، مع ذِكرِ أبوابِ علمِ المَعاني الثّمانية، وسببِ كونِها محصورةً في هذه الثّمانية.

ويَحسُــن التّنبيهُ في ختامِ هذا البحثِ إلى أنّ هذا العِلــمَ قابلٌ للتّجديد والتّطوير، ممّن قد اســتفرغَ وُســعَه في دراســةِ القديــم، ليسلَمَ لهــم تَعقُّــبُ السّــابقين، والاســتدراكُ عليهم، فيتّجهُ تَجديدُهم تــارةً إلى المضمون، وتــارةً إلى المنهــاج؛ كما فعلَ غــيرُ واحدٍ في العــصرِ الحديثِ من علمــاءِ البلاغة، كالشّــيخ عبد الحميد الفراهــيّ في كتابه «جَمهَرة البلاغــة»، والشّــيخ أمين الخــوليّ في كتابه«مناهج تجديد»، وغيرهما.

كمــا يَحسُــن التّنبيه –أيضًا– إلى مــا قد يَلحظهُ الــدّارسُ مــن تَداخلٍ بــين موضوعاتِ هــذا العلمِ أحيانًا، أو تفرُّعِ موضوعٍ منها عن آخَر، فعليهِ أنْ يَكــونَ متذوّقًا، فلا يتعاملُ مــع هذا الفنّ بطريقةٍ آليّةٍ جامدة، وإلّا جنَحَ إلى العُجمةِ وابتعدَ عن رُوحِ الكلامِ العَرَبيّ.

(٤٣)الإيضاح، الخطيب القزويني، ١/٥٣.

المَصادرُ والمَراجعُ:

ـ أساليبُ بَلاغيّة، أحمَد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٨٠م.

ـ الأطوَل، العصام الإسفراييني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العملية، بيروت، ٢٠٢١م.

ـ إعجاز القرآن والبلاغة النّبوية، مصطفى صادق الرّافعي، دار الكتاب العَرَبيّ، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥م.

ـ أفانين البلاغة، الرّاغب الأصفهانيّ، تحقيق: عمر ماجد السّنويّ، دار أروقة، عمّان، ٢٠٢٠م.

ـ الإيضاح، الخطيب القزوينيّ، تحقيق: مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، لبنان، ط٣، ١٩٩٣م.

ـ البديع، ابن المعتزّ، تحقيق: مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

ـ البلاغة العَرَبيّة، عبد الرّحمن حبنّكة، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م.

ـ جواهر البلاغة، أحمَد الهاشميّ، تحقيق: يوسف الصّميليّ، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٩٩٩م.

ـ حاشية الدّسوقيّ على مختصر المَعاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريّة، بيروت، ٢٠١٢م.

ـ شرح نظم التّلخيص، شهاب الدّين الملَّويّ، مخطوطة بمكتبة مَجمَع اللّغة العَرَبيّة، دمشق، رقم ٤٠٦.

ـ الصّاحبيّ في فقه اللّغة، ابن فارس، تحقيق: مصطفى الشّويميّ، مؤسسة بدران للطباعة، بيروت، ١٩٦٤م.

ـ الصّحاح، الجوهريّ، تحقيق: أحمَد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.

ـ الصّناعتين، أبو هلال العسكريّ، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاويّ ومُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٩٩٩م.

ـ علم المَعاني دراسة وتحليل، كريمة محمود أبو زيد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

ـ علم المَعاني، عبد العزيز عتيق، دار النّهضة العَرَبيّة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

ـ علوم البلاغة، أحمَد بن مصطفى المراغيّ، مطبعة مُحَمَّد مطر، مصر، ١٩١٧م.

ـ القول الفصل في أسرار الفصل والوصل، لشهاب الدّين الملّويّ، دراسة وتحقيق: عمر ماجد السّنويّ وأحمَد غالب الخرشة، مجلّة مَجمَع اللّغة العَرَبية الأردنيّ، ع١٠٧، ص٢٠٥، السّنة السّادسة والأربعون، ٢٠٢٢م.

ـ الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

ـ المثل السّائر، ابن الأثير، تحقيق: أحمَد الحوفيّ وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.

ـ مُعجَم المُصطلَحات البَلاغيّة وتطوّرها، أحمَد مطلوب، المَجمَع العلمي العراقي، بغداد، ط١، ١٩٨٣–١٩٨٧م.

ـ مفتاح العلوم، السّكّاكيّ، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

ـ مُعجَم مَقاييس اللّغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

ـ نقد الشّعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، القسطنطينيّة، ط١، ١٨٨٥م.

AL-MAWRID

A Quarterly Journal of Culture and Heritage

Issued by

The General House of Cultural Affairs

Ministry of Culture,Tourism and Antiquities

Editor -in- Chief

Hasan Abed Radhi

No.3

The forty-eighth volume

2023

الرقم المعياري الدولي
ISSN:1606-4836

دار الشؤون الثقافية العامة
THE GENERAL HOUSE OF CULTURAL AFFAIRS

سعر النسخة: 5000 دينار

mail: info@darculture.com
dar_iraqculture@yahoo.com

تصميم الغلاف: جنان عدنان لطيف